لفظُ الجلالةِ في النصِّ القرآني
دراسةٌ لغويةٌ

آيات قاسم محسن
أ.د. حسن منديل حسن العكيلي
كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

The word majesty in the Qur'anic text
(linguistic study)

Ayat Qasim Mohsen
Prof.Dr. Hassan Mandil Hassan Al-Ukaili
College of Education for Girls / University of Baghdad
Email: aligeali@Gmail.com

ملخص البحث

تفرد لفظ الجلالة (الله) بخصائص لغوية ودلالية، والتفرد في الماهية الوجودية فوق قوانين الخلق ، وأنّ أكثر السياقات التي يردّ فيها هذا اللفظ الجليل يكون مقترنًا بالنور والضياء، (الله نور السماوات والأرض) (سورة النور/ ٣٥). هذا من ناحية الدلالة ، أمّا من ناحية الايقاع فانّ في كل مرة يتكرر فيها هذا اللفظ الجليل يحمل نغمًا خاصًا مفخمًا ومرققًا، فضلا عن المدّ الذي يدل على الاستعلاء، والهاء التي تدل على الاحتواء، فالعظمة ماثلة في هذا اللفظ الجليل رسمًا ودلالة، وماثلة في تآلف الحروف بهذه الفخامة، والقوة ما لا يوجد في غيره من الألفاظ (ليس كمثله شيء) واسمه كمسماه.

الكلمات المفتاحية: الله، لفظ الجلالة ، الخطاب القرآني، اللغة العربية.

Abstract

The uniqueness of the word Allah with linguistic and semantic characteristics, and the uniqueness of the existential essence above the laws of creation. And that most of the contexts in which this glorious expression is mentioned is associated with light and illumination). This is in terms of semantics, but in terms of rhythm, every time this venerable word is repeated, it carries a special tone, magnified and thinned, as well as the elongation that indicates superiority, and the distraction that indicates containment. With this luxury, and strength that is not found in other words. (Is not nothing like Him). His name is like his name.

key words: Allah , the word of majesty, Qur'anic, the Arabic language.

المقدمة

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، الحبيب المرتجى، هادي العالمين بإذن ربه بخير رسالة وخير هدى، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه وبهديه اهتدى، وبنهجه اقتدى. وبعد...

فإن كتاب الله أشرف كتاب، ولغتنا خير لغة للخطاب، والبحث في فضلها، شرفٌ لِيّ، وفي وجه الله وكرمه يعظم الرجاء والأمل. وكما قال سبحانه وتعالى ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (سورة المجادلة ، الآية : ١١).

لقد شرفت بهذا البحث وحاولت جاهدة أقدم فيه ما استطعت ، طامعة في خدمة لغة القرآن الكريم، التي ترقى الأمة برقيها، ويعلو شأنها ويسطع نجمها.

فاللغة العربية هي أرقى اللغات وأفضلها وأوسعها، وكفاها فخرًا ومجدًا إنّها لغة القرآن الكريم، وأين للغات الأخرى من اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وما فيها من استعارة وكناية، وما للعرب من سنن في كلامهم من تقديم وتأخير، وقلب واستعارة وتمثيل وغيرها.

قال الفارابي في مقدمة : (ديوان الأدب): "هذا اللسان كلام أهل الجنة، وهو المنزه من بين الألسنة من كل نقيصة والمعلَّى عن كل خسيسة والمهذب مما يستهجن ، أو يستشنع، فبنى مباني باينَ بها جميع اللغات من إعراب أوجده الله له ، وتأليف بين حركة وسكون حلاه به".

أهمية الموضوع:

اسم الله تبارك وتعالى أعظم أسمائه الحسنى، وهو علم الأعلام، ومما اختص به سبحانه وتعالى لا يشاركه به غيره، فلم يتسمَّ به أحد غيره من قبل ولا من بعد، قال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (سورة مريم ، الآية : ٦٥). وهذا الاسم الكريم له خواص في كلام العرب اختصَّ بها عن غيره من سائر الأسماء الأعلام.

فقد ميز الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم عن سائر كتبه بأن جعل اسمه أكثر كلمة تكررت فيه.

وميز الله سورة الفاتحة وجعلها أعظم سور القرآن، ولذلك وضع سبحانه وتعالى اسمه في أول آية فيها .

وميز الله سورة الاخلاص بأن جعلها تعدل ثلث القرآن، ولذلك وضع اسمه في اول آية فيها.

وميز الله آية الكرسي بأن جعلها أعظم آية في القرآن، ولذلك بدأها باسمه.

وميز الله بعض السور كما ميز بعض الآيات فوضع فيها اسمه.

لذلك فإنّ للأسماء خصوصية في القرآن الكريم، فالخطاب القرآني مؤسس في اعجازه على دلالة الأسماء، فللاسم جماليته وروحانيته في هذا الخطاب الجليل، فكيف بلفظ الجلالة (الله) الذي يُكرر في القرآن مفخمًا ومرققًا ؟! ويحمل في كل مرة يتكرر فيها نغمًا خاصًا، وايقاعًا يتجاوب مع جميع السياقات التي يرد فيها في هذا الخطاب الإلهي المعجز، ولهذا يملك هذا اللفظ الجليل قدسيته وعظمته اللامتناهية في هذا الخطاب، ومن يطالع الخطاب القرآني يلاحظ هذه الجمالية تتجلى في هذا اللفظ، ودليلنا: المد الذي يدل على استعلاء، والهاء التي تدل على احتواء، وعظمة واحاطة وامتلاء، فالعظمة ماثلة في هذا اللفظ الجليل رسمًا ودلالة، ماثلة في تآلف الحروف بهذه الفخامة ، والقوة لدرجة أننا لا يمكن أن نعثر عليها إلّا في هذا اللفظ العظيم.

هذا من ناحية الدلالة أمّا من ناحية الإيقاع ، أو الرنين والنغم الساحر فالذي يتجلى من هذا اللفظ الجليل، أنّ في كل مرة يتكرر فيها هذا اللفظ الجليل يحمل رنة قدسية، بالاضافة الى ايحاء نوراني مشع من كل آية من آيات الذكر الحكيم ، وهذا القول يضعنا في مواجهه حقيقية مع مفسري القرآن، فأغلب المفسرين نظروا الى هذا اللفظ الجليل على أنّه اسم كسائر الأسماء الإلهية الواردة في السياقات القرآنية، دون أن يخصصوا هذا الاسم بإشارة ، أو دلالة مخصوصة به دون سواه، وبتصورنا هذا اللفظ الجليل مستقل بذاته ، ومتفرد بكل ما هو عظيم وجليل ومعجز ، وغالبًا ما يكون مقترنًا بالاشعاع والنور بمعنى أنّ أكثر السياقات التي يردّ فيها هذا اللفظ الجليل يكون مقترنًا بالنور والضياء ، وخير دليل على ذلك قوله

تعالى: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (سورة النور ، الآية : ٣٥) وهذه الآية تعني أنّ الله نور في نور، وجلالة الله وعظمته ماثلة ، أو متجلية في هذا النور المقدس والاشراق البهي الذي لا تملكه إلّا الذات الخالقة لهذا الكون، والمتعالية وسمًا ودلالة على سائر الخلائق والموجودات بطاقة الخلق والتفرد بهذه الطاقة والاستعلاء بها، وقد جاء قوله عز وجل في سورة الاخلاص: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ دلالة بوضوح على هذا التفرد والعظمة والقدرة على الخلق ، والتفرد في الماهية الوجودية فوق قوانين الخلق وطاقتهم المعرفية الضحلة.

التمهيد

لفظ الجلالة وأسماء الله الحسنى

في اللغات السامية

ورد لفظ الجلالة (الله) في الذكر الحكيم ٩٨٠ مرة كما جاء لفظ الإله بصوره المختلفة (إله ، إلها ، إلهك ، إلهكم ، وإلهنا) ١٢٧ مرة.

وقد نقل عن أبي زيد البلخي: أنّ لفظ الجلالة ليس بعربي بل عبري أخذه العرب عن اليهود ، و استدل عليه بأنّ اليهود يقولون : (إلاها)، و العرب حذفت المدة التي كانت موجودة في آخرها في العبرية لكثير من نظائرها العبرية فتقول (أب) بدل أباه ، وروح بدل (روحا) ونور بدل (نورا) إلى غير ذلك.

وذهب الباقون إلى أنّها عربية صحيحة وقد كانت العرب تستعمل تلك اللفظة قبل بعثة النبي بقرون، ولا تشذ عن سائر الأمم ، فإنّ لكل أمة على أديم الأرض لفظًا خاصًا لخالق العالم وبارئه و مدبره ، فالفرس عندهم (خدا) و (ايزد)، كما أنّ للترك (تاري) ، ومن البعيد أن لا يكون عند العرب المعروفين بالبيان والخطابة لفظ يعبرون به عما تهديهم فطرتهم إليه وتدلهم عليه قال سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ (سورة لقمان ، الآية : ٢٥ – سورة الزمر ، الآية : ٣٨). واشتراك الفريقين في التعبير عن

مبدأ العالم لا يدل على أنّ العرب أخذت من اليهود ، خاصة إذا قلنا بأنّ اللسانينِ يرجعان إلى أصول واحدة، و إنما طرأ عليهما الاختلاف لعلل و ظروف اجتماعية وغيرها والكل من العنصر (السامي).

تقسيم صفاته إلى الجمالية و الجلالية:

إنّ صفات الله تعالى على نوعين: جمالية وجلالية .

فالجمالية عبارة عن الألفاظ الدالة على معانٍ قائمة بذات الله تعالى كقولنا: عالم، قادر، حيّ.

والجلالية عبارة عن سلب معانٍ عن الله سبحانه كقولنا: (الله ليس بجسم ولا جسماني ولا جوهر وعرض) ولعله يشير إلى القسمين قوله سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (سورة الرحمن ، الآية : ٧٨)[1].

فصفة الجلال ما جلّت ذاته عن مشابهة الغير، وصفة الاكرام ما تكرمت ذاته بها و تجملت.

وبعبارة أخرى: الصفة إمّا ايجابية ثبوتية، وإمّا سلبية تقديسية، وقد حصروا الأولى في ثمانية وهي: العلم ، و القدرة ، و الحياة ، و السمع ، و البصر، والتكلم، والغنى، والصدق، كما حصروا الثانية في سبعة وهي أنّه تعالى ليس بجسم، ولا جوهر، ولا عرض، و لايري، وليس بمتحيز، ولا حال في غيره، ولا يتحد بشيء.

وبعبارة ثالثة لو كانت الصفة تثبت وجود كمال في الموصوف وواقعية في ذاته، تعد كمالًا لها، وسميت ثبوتية ، أو جمالية ، أو كمالية ، أو معنوية على اختلاف مصطلحاتهم ، ولو كانت الصفة تهدف إلى نفي نقيصة وحاجة عنه سبحانه سمّيت سلبية أو جلالية، فالعلم والقدرة والحياة من الصفات الثبوتية ؛ لأنّها تعرب عن وجود كمال في الذات الإلهية كما أنّ نفي الجسمانية والحلول و التحيز من الصفات السلبية لأنّها تهدف إلى سلب هذه النقائص عن ساحته وذاته.

(١) مفاهيم القرآن ، ٦ / ١٠٩.

وعلى وجه الإجمال كلّ اسم يدل على تنزهه تعالى وخروجه عن الحدين: حد الإبطال وحد التشبيه فهو جلالي، مثل: عزيز، وسبوح، وجليل، وسرمد، وغيرها مما تدل على غناه عما سواه وعدم مشابهته بشيء من خلقه، و كل اسم يدل على شيء من كمالاته تعالى فهو جمالي مثل: عليم، وقدير، وسميع، وبصير، مما يدل على استحقاقه لشيء من الكمالات فجلاله عين جماله، و جماله عين جلاله، و كلاهما عين ذاته، و لكن التعدد في عالم الأسماء، فالأسماء الجلالية مظاهر عالم العزة، والأسماء الجمالية مظاهر عالم العظمة[1].

المبحث الاول

لفظ الجلالة في القرآن الكريم

انفراده تعالى باسم الله :

قال بعض العلماء: اسمه « الله » ؛ لأنّه تفرد بهذا الاسم، فلم يُسمَّ بهذا الاسم شيء من الخلق، ولم يوجد هذا الاسم لشيء من الأشياء، ووجدنا غيره من أسمائه الحسنى نعوتًا وصفات لهذا الاسم الواحد، وإنّما جاز أن يقال لها أسماء وهي صفات ونعوت ؛ لأن النعت يقوم مقام الاسم، قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (سورة الاعراف، الآية : ١٨٠) فنسب إلى هذا الاسم الأسماء كلها، وتسمى الناس بسائر الأسماء، ولم يتسمَّوا بهذا الاسم الواحد، وهو الله تبارك وتعالى.

والذين أشركوا في عبادته وعبدوا غيره اشتقوا له أسماء من اسمه فسموا أوثانهم آلهة، فأمّا لأنفسهم فلم يستجيزوا ذلك، وتسموا بالعزيز والجبار والملك والرحيم والعظيم وسائر الأسماء، فهذا اسم له على الانفراد، ممنوع من الخلق أجمعين، قال عز وجل : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (سورة مريم، الآية : ٩٥)، وقال بعض المفسرين : هل تعرف له شبيهًا، وقال آخرون : لم يسمَّ بهذا الاسم غيره، قال: وليس هذا الاسم مشتق من نعت، كالقادر من القدرة، والراحم من الرحمة، والعالم من العلم . إنّما هو اسم لا تشاركه صفة، وقلنا إنّما سموا أوثانهم آلهة، وواحد الآلهة إله، فقالوا : هذا إله بني فلان، لما كانوا يتخذونه

(١) مفاهيم القرآن، ٦ / ٥٤.

من الخشب والحجارة وغيرها ، وهو اسم نكرة كأنه إله من الآلهة ، فإذا أدخل فيه الألف واللام قيل: الإله، ولم يقولوا بالتعريف لغير الله ، ولم يقولوا لغير الله إلّا بالإضافة. قالوا: إله بني فلان.

كلمة الله:

فأما لفظ الجلالة: (الله) عزَّ وجلَّ، فهو الإله معرَّف بالألف واللام . فالألف هو من أصل الكلمة لأنّه في الأصل إله، والألف أُدخِلت فيه مع اللام للتعريف ، فلما أُدخِلت فيه ألف التعريف سقطت الألف الأصلية، وتركت الهمزة لكثرة ما يجري على ألسنتهم، وأُدغِمَتْ لام المعرفة في اللام التي لَقيتها وفُخِّمَت وأُشبِعت حتى أطبق اللسان بالحنك لفخامة ذكره تبارك وتعالى ، ثم صارت الألف واللام فيه كأنّهما من سنخ الكلمة فقيل : الله وكان الاسم مخصوصا له جلَّ ذكره .[1]

واشتقت العرب من (الله) اسمًا ، فسموا بعض أصنامهم اللات .

قال ابن جريح: اشتقوا اللات من الله ، والعُزَّى من العزيز ، عزَّ الله وجلَّ ، واللات صنم من حجارة كان في الكعبة ، فكسره النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وقال قوم: كان رجل يلث السويق بالسمن فيطعم الناس، فلما مات عبدوه زمانًا ، فلما طال عليهم اتخذوا له مثالا من حجارة، فعبدوه وسموه باسم اللات للسويق ، ومن العرب من يحذف الألف واللام من (الله) فيقولون: لاه لا أفعل ذلك. يريدون : والله لا أفعل ذلك ، على طريق القسم ، ويقولون: لاه دره يريدون: لله دره واختلف النحويون فيها ، فقال قوم : المحذوفة اللام الأصلية والباقية لام الخفض؛ لأنّ حرف الخفض لا يُضمَر بإجماع ، وقال آخرون : بل الباقية الأصلية ؛ لأنّه لا يُحذَف من أصل الحرف ، ولكل فريق حجة.

حذف الألف من بسم الله:

قال الفراء : إنّما حذفوا الألف من كتابة : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ لأنّها في صدر كل سورة ، فكثرت مع هذا على ألسنتهم ، فاستخفوا حذفها ؛ لأنّها وقعت في موضع

(١) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، ١٨٧.

معروف لا يجهل القارىء معناه، ولا يحتاج إلى قراءته فاستخف طرحها؛ لأنّ من شأن العرب الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف معناه ، قال: ألا ترى أنّك تقول (بسم الله)، عند ابتداء كل من تأخذ فيه من مأكل ، أو مشرب ، أو ذبيحة ؟ فخفَّ عليهم الحذف لمعرفتهم به، ولم يحذفوا في قوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ (سورة الواقعة ، الآية : ٧٤) وأشباهها ؛ لأنها لم تكثر ككثرة بسم الله ، و قال: وكذلك لم تحذف إن جئت بحرف غير الباء ، كقولك: لاسم الله حلاوة في القلوب، وليس اسم كاسم الله ، وما أشبه هذا فهو بالألف ، قال : وكذلك جميع أسماء الله عزَّ وجلَّ ، مثل قولك : باسم الرحمن، وباسم الجبار فإنّ الألف في كلها مثبتة؛ لأنها لم تكثر في كلامهم، ولم تستعمل كاستعمالهم إياها في بسم الله[١].

المبحث الثاني

المستوى النحوي للفظ الجلالة

خواص اسم الله تعالى :

الخاصَّة الاولى: التزام نداء لفظ الجلالة بحرف النداء (يا).

التزمت العرب في نداء لفظ الجلالة الإتيان فيه بالحرف (يا)، وهو في ذلك مخالف للأسماء الأعلام في جواز حذف حرف النداء (يا) معها، نحو: زيدُ أقبل، وقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾) سورة يوسف ، الآية : ٢٩) ، ولا يجوز ذلك في لفظ الجلالة، فلا يقال: (الله اغفر لي، وأنت تريد: يا الله اغفر لي)، إلا أن يلحق لفظ الجلالة الميم في آخره عوضًا عن حرف النداء (يا)، فتقول: اللَّهمَّ اغفر لي[٢].

الخاصَّة الثانية: الجمع بين (يا) و (أل) في نداء لفظ الجلالة.

يرى البصريون: أنّ الاسم المحلى بـ: (أل) لا يجوز أن تباشره (يا) فيجتمع فيه حرف النداء وحرف التعريف ؛ لأنّ حرف النداء وإن لم يكن موضوعًا للتعريف فإنّه بمنزلته من أجل أنّه يُحدِث تخصيصًا في المنادى، فيعرِّفه تعريف القصد والإشارة إليه، و(أل) تعرِّفه

(١) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، ٣١.
(٢) ينظر: أوضح المسالك ، ٤/ ١٢

تعريف الاسم، فكان ذلك بمنزلة الجمع بين تعريفين، ولا يدخل تعريف على تعريف؛ ولأنّ (أل) تفيد تعريف العهد الذي فيه معنى الغَيبة، حيث إنّه يكون بين اثنين في ثالث غائب، والنداء خطاب لحاضر ، فلا يجمع بينهما لتنافي التعريفين، وقيل: لأن حرف النداء و (أل) زائدان، والكلمة الواحدة لا يجتمع فيها زائدان من أولها ، وإذا أُريد نداء ما فيه (أل) توصِّل إلى ذلك ب(أي)، أو باسم الإشارة)[1].

الخاصَّة الثالثة: تعدد صور نداء لفظ الجلالة ب(يا).

١- يا أللهِ) بإثبات ألف (يا) وقطع الهمزة ، قال الراجز:

مباركٌ هو ومن سماهُ

على اسمكَ اللَّهُمَّ يا أللهِ

وإنما قطعت الهمزة في لفظ الجلالة للإيذان أن (أل) فيه مخالف لسائر الأسماء الاخرى.

٢- (يا الله) بإثبات ألف (يا) ووصل الهمزة ، وإنما وصلت بالنظر إلى أصلها حيث إنها في الأسماء همزة وصل.

٣- (يا لله) بحذف ألف (يا) وهمزة الوصل ، وإنما حذفت ألف (يا) لالتقاء الساكنين.

٤- (يألله) بحذف ألف (يا) وقطع الهمزة ، وذكر هذه الصورة ابن جني في (المحتسب)، ومنعها الدّنوشري ، وجوَّزها ياسين العُليمي، معللاً ذلك بأنه جارٍ على القياس.

٥- (يللَّه) بحذف ألف (يا) والهمزة وألف لفظ الجلالة ، حكى ذلك الكسائي[2].

الخاصَّة الرابعة: قولهم في النداء (اللَّهمَّ) بغير (يا).

نداء لفظ الجلالة عند العرب يأتي على وجهين، أحدهما: يا الله، والأخر: اللَّهمَّ، ولم يجئ في القرآن الكريم إلّا بهذا الوجه الثاني، وهو الكثير في كلام العرب[3].

الخاصَّة الخامسة: دخول (التاء) على لفظ الجلالة في القسم.

(١) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ، ٢/ ٨
(٢) انظر حاشية الصبان على شرح الأشموني ، ٣/ ١٤٦
(٣) انظر الكتاب ، ١/ ٥٩

من خواص لفظ الجلالة دخول (التاء) عليه في القسم، وذلك كقوله تعالى: ﴿تاللهِ لقدْ ءاثركَ اللهُ علينا ﴾ (سورة يوسف ، الآية : ٩١)، ولا تدخل على غيره من الأسماء، وهو مذهب سيبويه والفراء وجمهور النحاة[١].

الخاصَّة السادسة: دخول (اللام) على لفظ الجلالة في القسم.

من خصائص لفظ الجلالة دخول (اللام) عليه في القسم، ويلزمها معنى التعجب وهي مع ذلك قليلة [٢].

الخاصَّة السابعة: دخول الميم المثلثة على لفظ الجلالة في القسم.

حكى سيبويه والكسائي والاخفش عن بعض العرب قولهم: مِ اللهِ لأفعلنَّ، ومُ اللهِ لأفعلنَّ، وحكى الهروي: مَ اللهِ ، بفتح الميم [٣].

الخاصَّة الثامنة: إضمار الجار وإعماله بغير عوض مع لفظ الجلالة في القسم.

يعد حرف الجر عاملًا ضعيفًا جدًا ؛ لذا لا يجوز إعماله بعد الحذف بلا عوض، إلّا أنّ لفظ الجلالة اختص بإضمار الجار معه وإعماله بلا عوض في القسم مثل: اللهَ لأفعلنَّ[٤].

الخاصَّة التاسعة: التعويض عن حرف الجر المحذوف مع لفظ الجلالة في القسم.

من خصائص لفظ الجلالة في كلام العرب أنّهم يحذفون حرف القسم معه تخفيفًا على اللسان، ويعوضون عنه ، ويجُرُّون لفظ الجلالة ، وعوضوا عن حرف القسم بأحد ثلاث أشياء هي:

١-العوض ب(ها) التنبيه : نحو ها الله ذا.

٢-العوض بهمزة الاستفهام : نحو آلله لتفعلنَّ.[٥]

(١) انظر المقاصد الشافية ، ٥/ ٢٩٢
(٢) ينظر: الكتاب ، ٣/ ٤٩٧
(٣) ينظر: جواهر الادب ، ٩١
(٤) الكتاب ، ٣/ ٤٩٨
(٥) ينظر: الكتاب ، ٢/ ١٦٠

٣- العوض بقطع ألف الوصل: نحو أفأالله لتفعلنَّ ، وإنّما قُطعت همزة الوصل لتدل على كونها عوضًا من حرف القسم[١].

الخاصَّة العاشرة: قطع همزة الوصل من لفظ الجلالة في النداء والقسم.

لا تقطع همزة الوصل إلّا في الاضطرار، واختص لفظ الجلالة من بين سائر الأسماء المفردة الأعلام بجواز قطع همزة الوصل معه في الاختيار ، وذلك في حالين:

الحال الأولى: في النداء نحو: يا الله ، والعلة في ذلك عند كثير من النحويين الدلالة علىّ أن الألف واللام خرجا عن المنهاج المتعارف عليه من إفادة التعريف، فليس لهما حظ في التعريف، وإنما هما عوض محض في هذا الاسم الكريم من همزة (إله) ، كما أنّ الفعل إذا سمي به قطعت همزة الوصل منه ؛ ليدل على أنّه ليس على نهجه الأصلي ، وأنّه قد تغير حكمه وانتقل من باب الأفعال إلى باب الأسماء ، وعلة قطع الهمزة عند السيرافي ، والسهيلي ، وابن خروف ، وابن أبي الربيع – في أحد تعليلاته – لزوم الألف واللام لهذا الاسم للتعظيم ، فصارتا كأنّهما من الكلمة نفسها ، فجاز قطعها ورد الفارسي هذا التعليل بأن لو كان كذلك لجاز قطع همزة الوصل في (الذي) و (التي) للزومها، ووافقه ابن يعيش في رده هذا.

والحال الثانية: لقطع الهمزة في اسم الله تعالى في القسم نحو: أفأالله لأفعلن، وإنما قطعت الهمزة تعويضاً عن حرف القسم المحذوف(٢).

الخاصَّة الحادية عشرة: دخول أنواع من التصرفات على لفظ الجلالة في القسم وغيره.

لحق لفظ الجلالة أنواع من التصرفات والتغييرات في القسم وغيره التي لا تجوز إلّا فيه؛ لأنّه لا يلتبس بغيره، إذ لا مشارك له في هذا الاسم، ولكثرة استعماله، فمن ذلك ما نقله الزجاجي عن قطرب إذ يقول: ((إنّ هذا الاسم لكثرة دوره في الكلام واستعماله قد كثرت فيه اللغات ، فمن العرب من يقول : والله لا أفعل ، ومنهم من يقول : لاه لا أفعل ، ومنهم من يقول : والله ، (بحذف ألفه) وإسكان الهاء ، وترك تفخيم اللام ، وأنشد :

أقبلَ سيلٌ جاءَ من أمر الله يَحرِدُ حَردَ الجنَّةِ المُغِلَّه

(١) ينظر: المصدر نفسه ، ١/ ١١٥.

ومنهم من يقول: واه لا أفعل ذلك)).[١]

المبحث الثالث

المستوى الصرفي للفظ الجلالة

لفظ الجلالة (الله) وأقوال علماء التصريف:

لفظ الجلالة (الله) لا يوزن بميزان صرفي عند من قال بأنّه اسم مرتجل جامد غير مشتق، فهو علم على ذاته – تبارك وتعالى – ، والألف واللام لازمتان له ، لا لتعريف ولا لغيره، بل هكذا وضع الاسم[٢] ، وهو المشهور، وعليه أحد قولي سيبويه، قال الخليل: (الله) لا تطرح الأَلف من الاسم إنّما هو الله – عزّ ذكره – على التمام ، قال: وليس هو من الأَسماء التي يجوز منها اشْتقاق فِعْلٍ كما يجوز في الرحمن والرحيم .

وأمّا على القول باشتقاقه ؛ فهو (فِعَال) بمعنى مفعول؛ لأَنّه مأْلُوه: أَي معبود، كقولنا إمامٌ (فِعَالٌ) بمعنى مَفْعول ؛ لأَنّه مُؤْتَمّ به ، والأصل: (إله)، أُدخلت الأَلف واللام تعريفًا، فقيل: (الإلهُ) ، فحذفت الهمزة ، فنقلت حركتها – وهي الكسرة – إلى اللام التي هي لام التعريف ، وذهبت الهمزة أَصلًا ، فقالوا: (أَلِلاه)، فحرَّكوا لام التعريف التي لا تكون إلّا ساكنة ، ثم التقى لامان متحركتان ، فأَدغموا الأُولى في الثانية، فقالوا: (الله)[٣].

وعليه فحذف الهمزة هنا على غير قياس، قال أبو علي الفارسي : « فأما إذا قدرت (إله) فيذهب سيبويه عندي إلى أنّه حذفت الفاء حذفًا لا على التخفيف القياسيّ »، واستدل على ذلك بتعويضهم منها الألف واللام ، قال : « وفي تعويضهم من هذه الهمزة ما عوضوا ما يدل على أنّ حذفها عندهم ليس على حد القياس »[٤].

وعليه أيضًا فأصل همزته الواو، فأصله: (وِلاهٌ) فقلبت الواو همزة ، كما قالوا للوِشاح: إشاحٌ، وللوِجاحِ: إِجاحٌ .

(١) اشتقاق أسماء الله ، ٢٩

(٢) ينظر: البيان والتعريف بما في علوم القرآن من احكام التصريف ، ١/ ١٠

(٣) ينظر: لسان العرب ، ١٣/ ٤٦٧

(٤) ينظر: الإغفال ، ١/ ٤٥

وردّ الجوهري ما حكاه أبو علي من أنّ الألف واللام عوض من الهمزة بقوله: " فلما أُدخلت عليه الأَلف واللام حذفت الهمزة تخفيفًا لكثرته في الكلام ولو كانتا عوضًا منها لما اجتمعتا مع المعوَّض عنه في قولهم الإلَهُ " [1] ، فحذف همزة (إله) في قولهم (الله) عنده للتخفيف ، وليس الألف واللام بعوض عنها بخلاف ما ذهب إليه أبو علي الفارسي .

قال ابن بري : " هذا رد على أَبي علي الفارسي ؛ لأَنّه كان يجعل الأَلف واللام في اسم الباري – سبحانه – عوضًا من الهمزة ولا يلزمه ما ذكره الجوهري من قولهم الإلَهُ لأَنّ اسم الله لا يجوز فيه الإلَهُ ، ولا يكون إلا محذوف الهمزة تَفَرَّد – سبحانه – بهذا الاسم لا يشركه فيه غيره ، فإذا قيل : (الإلاه) اطلق على الله – سبحانه – ، وعلى ما يعبد من الأَصنام ، وإذا قلت : (الله) ، لم يطلق إلّا عليه – سبحانه وتعالى – ولهذا جاز أَن ينادي اسم الله وفيه لام التعريف وتقطع همزته، فيقال: (يا ألله) ، ولا يجوز يالإلهُ على وجه من الوجوه مقطوعة همزته ولا موصولة ".

وجعل الجوهري قطع الهمزة في النداء للزومها ، وإنّما لزمت عنده تفخيماً لهذا الاسم[2].

ويوهن ما ذهب إليه الجوهري أنّ التفخيم باق للاسم العظيم مع وصل همزته، إذ القطع والوصل لغتان جائزتان فيه، جاء في اللسان: " ... وقالوا: يا الله ، فقَطَعُوا، قال : حكاه سيبويه ، وهذا نادر ، وحكى ثعلب: أَنّهم يقولون: يا الله ، فيصلون، وهما لغتان، يعني القطع والوصل.

وجوّز سيبويه أَن يكون من قولهم: (لاه يليه ليهًا) : إذا تستر، فأَصله: (لاهًا)، قال الأَعشى:

كَدَعْوةٍ من أَبي رَباحٍ يَسْمَعُها لاهُه الكُبار

أَي: إلاهُه، أُدخلت عليه الأَلف واللام ، فجرى مَجْرَى الاسم العلم ، كالعبَّاسِ والحسَن، إلّا أَنّه خالف الأَعلام من حيثُ كان صفةً ، حكاه الجوهري ، وعليه فألفُهُ

(١) انظر الصحاح ، ٦/ ١١٨
(٢) انظر لسان العرب ، ١٣/ ٤٦٧

منقلبة عن الياء ، بدليل قولهم : لَهْيَ أَبوكَ ، أَلا ترى كيف ظهرت الياء لمّا قُلِبت إلى موضع اللام ؟ [١].

وحاصل ما ذكر في أصل لفظ الجلالة على تقدير الاشتقاق قولان:

أحدهما: لاهٌ . ونقل أصل هذا عن أهل البصرة . وعليه أنشدوا :

كَدَعْوةٍ من أَبي رَباحٍ يَسْمَعُها لاهُه الكُبارُ

والثاني: إلاه. ونقل عن أهل الكوفة .

ووزنه على الأول فَعَل، أو فَعِل، قلبت الواو والياء ألفاً ؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها ؛ وأدخلت (أل)، وأدغمت اللام في اللام، ولزمت (أل) وهي زائدة إذ لم تفد معرفة فتعرفه بالعلمية[٢].

ووزن أصل لفظ الجلالة على الثاني (فِعَال) ومعناه مفعول؛ ، كالكتاب بمعنى المكتوب.

أصل (اللهم): يا الله وأقوال العلماء في ذلك:

اختلف العلماء في أصل (اللهم) على رأيين:

أولًا :- مذهب الخليل وسيبويه والبصريين:

ذهب الخليل وسيبويه والبصريون إلى أنّ (اللهُمّ) بمعنى يا الله ، وأنّ الميم المشددة عوض من (يَا) التي للتنبيه في النداء ؛ لأنّهم لم يجدوا (يَا) مع هذه الميم في كلمة ، ووجدوا اسم الله – جل وعز – مستعملًا بـ (يَا) إذا لم يذكر الميم ، فعلموا أنّ الميم من آخر الكلمة بمنزلة (يَا) في أولها ، والضمة التي في أولها ضمة الاسم المنادى في المفرد ، والميم مفتوحة لالتقاء الساكنين[٣].

ثانيًا :- مذهب الكوفيين :

ذهب الكوفيون إلى أنّ أصل اللهم: (يا الله أمّنا بخير) فحذف بعض الكلام تخفيفًا

(١) انظر لسان العرب ، ١٣/ ٥٣٨

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه ، ١/ ٣٩٤

(٣) انظر الجمل في النحو ، ١٣٧

لكثرته في كلامهم وجريه على ألسنتهم كما قالوا : أَيْشٍ ؟ ، والأصل : أيّ شَيءٍ ؟ ، وقالوا : وَيْلُمِّه ، والأصل: وَيْلُ أُمِّه ، وهذا كثير في كلامهم . وقد استدلوا على أنّ الميم ليست عوضًا من (يا) بالجمع بينهما في قول الشاعر:

إني إذا ما حدث ألَمَّا ... أقول يا اللهم يا اللهمَّا[1]

حيث جمع بين الميم و (يا)، ولو كانت عوضًا عنها ؛ لما جمع بينهما؛ لأنّ العوض والمعوض لا يجتمعان ، قال الفراء: " أصله : (يا الله ؛ أمنا بخير)، ثم اختصر، وجعلت الكلمتان واحدة ، ومنع من حرف النداء ".

الترجيح بين المذهبين :

لا خلاف بين العلماء في جواز طرح الهمز تخفيفًا ، وقد وردت بذلك بعض القراءات القرآنية في بعض الكلمات العربية المشتملة على الهمز إلّا أّن كل ما كان من هذا الهمز الذي طرح فأكثر الكلام الإتيان به حتى ما احتج به الكوفيون لمذهبهم من كلمات ، يقال : ويل أُمه وويْلُمِّه ، والأكثر إثبات الهمز ولو كان الأمر كما قالوا لجاز: اومم ، والله أُم ، وكان يجب أن تلزمه ياء النداء ؛ لأنّ العرب تقول يا الله اغفر لنا ، ويقولون : (اللهمّ) ، ولم يقل أحد (يا اللهمّ) ، وَلَمَا جَازَ أن يستعمل لفظ (اللهمّ) إلّا فيما يُؤَدِّي إلى هذا المعنى، وهذا باطل بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة الانفال ، الآية : ٣٢) ، إذ لو كان الأمر على ما ذهبوا إليه لكان التقدير أمّنَا بخير إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم ، ولا شك أنّ هذا التقدير ظاهر الفساد ؛ إذ لا يكون أَمَّهُم بالخير أن يمطرَ عليهم حجارة من السماء أو يؤتوا بعذاب أليم ، ولا شك أنّه يجوز أن يقال: اللهم العنه ، اللهم اخزه ، اللهم أهلكه، ... وما أشبه ذلك[2].

قال الزجاج ردًّا على ما ذهب إليه الكوفيون: " ... فهذا القول يبطل من جهات:

(١) انظر اسرار العربية ، ٢١٣

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه ، ١/ ٣٩٣

أحدها : أنّ (يا) ليست في الكلام ، وأخرى: أنّ هذا المحذوف لم يتكلم به على أصله كما نتكلم بمثله ، وأنّه لا يقدم أمام الدعاءِ هذا الذي ذكره ، وزعم أنّ الضمة التي في الهاء ضمة الهمزة التي كانت في (أُم)، وهذا محال أن يترك الضم الذي هو دليل على النداء للمفرد، وأن يجعل في الله ضمة (أُم) هذا إلحاد في اسم الله – عز وجل – " ، وما أنشده الكوفيون فلا حجة فيه ؛ لأنّه إنّما جمع بينهما لضرورة الشعر ، وإنّما سهل الجمع بينهما للضرورة أن العوض في آخر الكلمة والمعوض في أولها[1].

المبحث الرابع

المستوى الصوتي

(تفخيم لام لفظ الجلالة وترقيقها)

مخرج اللام وصفاتها:

اللام صوت لثوي ينتج عن طريق ملامسة أسلة اللسان إلى اللثة ، الأمر الذي يؤدي إلى وجود حبسة كاملة الانغلاق على طول خط الوسط في التجويف الفموي، لكن مع وجود منفذ الهواء يتحرر منه من أحد جانبي اللسان ، أو من كليهما مع تذبذب الأوتار الصوتية.

والصوت الجانبي يتم بإغلاق المسرب الأمامي لتيار الهواء وفتح مسرب بديل على جانبي اللسان ، ويظل تيار الهواء مستمرا في السريان دون توقف ، الأمر الذي لا يجوز معه اعتبار هذا الصوت وقفي ، ويظل الطريق الأمامي مغلقا مدة نطق الصوت[2].

وقد أشار إلى ذلك سيبويه، إذ فرق بين الصوت الجانبي وسائر الأصوات الاستمرارية والوقفية ، «يقول ومنها (المنحرف) وهو صوت شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام ، وإن شئت مددت بها الصوت ، وليست كالرخوة لأنّ طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه «.

(١) انظر اسرار العربية ، ٢١٣

(٢) انظر الاصوات اللغوية ، ١٥٤

وقد ألمح إلى ذلك مكي في كتابه الرعاية بقوله" أما اللام فهو من الحروف الرخوة لكنه انحرف به اللسان مع الصوت إلى الشدة ، فلم يعترض في منع خروج الصوت اعتراض الشديدة ، ولا خرج معه الصوت كله خروجه مع الرخوة ، فسمي منحرفا لانحرافه عن حكم الشديدة وعن حكم الرخوة ، فهو بين صفتين "[١].

بذلك يفرقون بين اللام والأصوات الوقفية من حيث أنّ الأصوات الوقفية يلتقي فيها وليس كذلك في اللام التي لا يكون الهواء فيها كاعتراض الحروف الشديدة ، وهو يفرقه كذلك بين اللام والأصوات الاستمرارية الأخرى من حيث أنّ الالتقاء التام حاصل في اللام ، وهذا لا يحدث عند نطق الأصوات الاستمرارية من خلال الأصوات الأنفية.

ويذكر علماء الأصوات المحدثون أنّ اللام من الأصوات المائعة والتي تتخذ ملامح صائتية وأخرى صامتية، حيث يتسع مجرى الهواء عند نطقها بما يقرب اتساعة عند نطق الحركات وإن لم يبلغه ، وتكاد تكون حركة الهواء غير مسموعة عند نطقها ، حتى أنّ بعض العلماء عد اللام من جنس الحركات[٢].

اللام المفخمة واللام المرققة:

يعرف التفخيم بأنّه تقعر اللسان وتصعد أقصاه نحو الحنك اللين عند النطق بحروف التفخيم وهي (خص ضغط قظ) ، تنقسم حروف التفخيم إلى قسمين:

– الأول: الإطباق ، وهو انطباق أقصى اللسان مع الحنك اللين ، وحروفه (ط ، ظ ، ص ، ض) حيث ينحصر الهواء بين اللسان والحنك اللين.

يقول سيبويه " وهذه الحروف إذا وضعت لسانك في مواضعهم انطبق لسانك عن مواضعهن إلى ما يحاذي الحنك الأعلى "[٣].

– الثاني: الاستعلاء ، وهو ارتفاع مؤخر اللسان إلى الحنك اللين ، مكمنه لا ينطبق ، وحروفه (غ ، خ ، قد) إضافة إلى حروف الإطباق ، سميت بذلك ؛ لأنّ الصوت يعلو إلى

(١) انظر الرعاية ، ١٣٢
(٢) انظر الاصوات اللغوية ، ٢٠١
(٣) انظر الكتاب ، ٤/ ٤٣٦

الحنك لكنه لا ينطبق.

فحروف الإطباق والاستعلاء تشترك في تقعر اللسان وارتفاع مؤخره إلى الحنك اللين، مما ينتج عنه صوت التفخيم ، وقد أشار إلى ذلك مكي في كتابه الرعاية .

أمّا الترقيق فهو عكس التفخيم، حيث يستقل اللسان (ينزل عن الحنك الأعلى ولا يعلو)، وحروفه تسمى بحروف الاستفال. قال مكي " وإنّما سميت مستقلة لأنّ اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك ... بل يستقل اللسان بها على قاع الفم عند النطق بها "[1] .

يوجد في العربية اللام المفخمة واللام المرققة، وتفخم في لفظ الجلالة (الله) بسياقات محدودة ، وإذا وقعت بعد الأصوات المفخمة ما لم تكن اللام مكسورة، مثل: الطلاق ، الصلاة ، الضلالة.

والفرق بين اللام المرققة واللام المفخمة هو في وضع اللسان مع كل منهما ؛ لأنّ اللسان مع اللام المفخمة يتخذ شكلا مقعرا كما هو الحال مع أصوات الإطباق ، فالفرق بين اللام المرققة واللام المفخمة هو نفس الفرق الصوتي بين الدال والضاد ، والتاء والطاء ، لكن الرسم العربي لم يرمز إلى اللام المفخمة برمز يختلف باختلاف الكلمة.

أمّا في اللام المرققة فإنّ مؤخر اللسان ينخفض إلى قاع الفم، مثل سائر الحروف المستقلة.

إنّ تفخيم اللام لازم لاسم (الله)جل جلاله في بعض السياقات، بل إنّك تجد سياقات متفقة تماما مع حالة تفخيم اللام في لفظ الجلالة (الله) لكنّها لا تفخم ، مثل – والله العظيم – ولاه الإمارة [2].

خصائص اسم الجلالة (الله):

ذكر جمع من أهل العلم أنّ اسم الجلالة (الله) هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وهو الاسم الذي تفرد به سبحانه وخص به نفسه، وجعله أول أسمائه الذي تضاف

(١) انظر الرعاية ، ١٢٤

(٢) انظر الاصوات اللغوية ، ١٥٤

كل الأسماء إليه[١].

واختلف العلماء في الاسم الأعظم (الله) هل هو مشتق أم لا، فإن قلنا بعدم اشتقاقه فهو اسم يدل على الذات العلية المتصفة بصفات الكمال ، وإن قلنا باشتقاقه وهو الراجح فإنّه مأخوذ من أله يأله ، أي الذي تألهه القلوب وتحبه وتعظمه.

فالله والإله يشتركان في اصل الاشتقاق غير أنّ لاسم الجلالة (الله) مزايا من أبرزها :

١ – أنّ اسم الجلالة (الله) لا ينكر .

٢ – أنّ اسم الجلالة (الله) اعرف المعارف وجميع الأسماء الحسنى تضاف إليه.

٣ – أنّ اسم الجلالة (الله) لا يشترك مع الله فيه أحد ، بينما الإله فقد يطلق على الإله الحق ، أو على الألهة الباطلة.

٤ – دخول ياء النداء على اسم الجلالة (الله) دون أن يحذف منه شيء فتقول (يا الله).

الأسباب الصوتية لحالة التفخيم والترقيق في اللام من لفظ الجلالة (الله):

وإنّ تفخيم اللام في لفظ الجلالة (الله) أمر متفق عليه إذا كان قبله فتح ، أو ضم نحو (قالَ الله) (يعلمُ الله)[٢].

قال البناء: " ثم إنّ تغليظ اللام متفق عليه، مختلف فيه ، فالمتفق عليه تغليظها من اسم الله تعالى ... بعد فتحة مخففة، أو ضمة كذلك ، نحو : (شهدَ الله) (رسلُ الله) ، ... قصدًا لتعظيم هذا الاسم الأعظم ، فإن كان قبلها كسرة مباشرة محضة، فلا خلاف في ترقيقها، سواء كانت متصلة أو منفصلة ، عارضة أو لازمة، نحو (بالله) ، (أفي الله)، (بسم الله)، (الحمد لله) "[٣].

يذكر العلماء أنّ الأصل في اللام في غير اسم الجلالة الترقيق، وأنّ التفخيم فرع، أمّا في

(١) انظر فقه الاسماء الحسنى ، ٧٤
(٢) انظر الرعاية ، ١٢٩
(٣) انظر اتحاف فضلاء البشر ، ١٣٢

اسم الجلالة (الله) فإنّ تفخيم اللام فيه هو الأصل ؛ وذلك لسبب مهم وهو أنّ اسم الجلالة (الله) إذا خلا من السوابق كان مفخما على أصل بقائه، وقد يكون السبب في ذلك يعود إلى الخصوصيات الكثيرة لهذا الاسم الفريد ، فكان تفخيم اللام إحدى هذه الخصوصيات، لأننا نجد أنّ سياقات صوتية تتفق مع السياق الصوتي لاسم الجلالة (الله)، ومع ذلك لم يدخلها التفخيم ، مثل:[1]

والله العظيم – ولاه ولاية

ولأجل ذلك ذهب بعض العلماء إلى جعل اللام المفخمة في لفظ الجلالة (الله) فونيمًا مستقلًا كنسبة السين إلى الصاد.

فمن المحتمل أنّ هذا الصوت كان شائعا ثم اندثر، خاصة إذا علمنا أنّه صوت سامي منتشر في الساميات.

وأقل أحوال القول في تفسير ظاهرة التفخيم في لفظ الجلالة (الله) ، أنّها ظاهرة تنغيمية جيء بها للتعظيم والإجلال ، وقد ألمح إلى ذلك بعض المتقدمين.

وترقيق اللام في لفظ الجلالة (الله) إنّما كان اضطرارًا فرضه وجود الكسرة السابقة .

وتفخيم اللام في لفظ الجلالة (الله) فيه إشباع لجرس اللام وتميزها عن اسم (الإله)، إذ لو تم ترقيقها لأمكن المشابهة في الأثر السمعي.

إنّ لسهولة النطقية لتفخيم اللام في لفظ الجلالة (الله) بعد الفتحة أو الضمة كان له أثر في استقرار هذا النطق . إذ أن الفتحة مستفلة ومنفتحة ، واللام المفخمة مستعلية نحو الطبقة ، فهذا الانفتاح يسَّر عملية الانتقال إلى الاستعلاء الذي في اللام المفخمة بلا كلفة.

والضمة كونها حركة خلفية مرتفعة فتقارب مخرجها مع مخرج اللام المفخمة، وهذا التقارب اعطى سهولة ويسر في النطق باللام المفخمة.

غير أننا نجد أنّ الأمر عند الكسرة يختلف ، فالكسرة حركة أمامية ضيقة يستعلي فيها

(١) انظر الاصوات اللغوية ، ١٤٨

مقدم اللسان إلى الحنك الصلب ، واللام المفخمة فيها استعلاء لمؤخر اللسان نحو الطبقة ، وبالتالي فإنّ انتقال اللسان من موضع استعلاء مقدمه عند نطق الكسرة إلى موضع استعلاء مؤخره عند نطق اللام المفخمة فيه عسر وصعوبة ، كما أنّه مع نطق اللام المفخمة يتقعر اللسان وهذا فيه بعد عن مخرج الكسرة واستعلاء مقدم اللسان معها ؛ ولأجل مجيء الكسرة ناسب أنّه ترقق اللام وتستغل بحيث ينزل مؤخر اللسان عن الطبقة ، أو الحنك اللين مع زوال تقعره تخلصا من الثقل وبحثا منه السهولة [١].

المبحث الخامس

المستوى الدلالي للفظ الجلالة

أسماء الله الحسنى:

لقد ظهر خلاف كبير بين علماء الكلام منذ القديم ، حول السمات التي تُميز الذات الإلهية عن غيرها ، هل أسماء الله الحسنى صفات أو أسماء ؟ وهذه مسألة متشعبة إلّا أننا نميل إلى أن نطلق على هذه الكلمات: (أسماء الله الحسنى ؛ وذلك لاطمئناننا لما هو موثق من نصوص من السنة الشريفة، والتي تؤيد أنّها أسماء لا صفات ، من ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « إنّ لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة» [٢].

وقد أثارت أحاديث الأسماء جدلا بين العلماء من حيث:

- هل سرد الأسماء في الأحاديث التي نصت عليها- جزء من الحديث ، أو هو من إضافة الرواة ؟.

- هل أسماء الله محصورة في تسعة وتسعين اسمًا فقط ، أو أنّ العدد قابل للزيادة ؟.

أمّا التساؤل الأول، فقد أجمع العلماء على تواتر الخبر عن أبي هريرة بالنسبة للجزءالأول

(١) انظر اتحاف فضلاء البشر ، ١٣٢

(٢) انظر البخاري مع فتح الباري ، ١١/ ٢١٤

من حديث الأسماء [1].

أمّا الجزء الثاني من الحديث، والمشتمل على سرد الأسماء فقليلون هم العلماء الذين قبلوه متصلا بالجزء الأول ، وقد رفعت رواية إلى أبي هريرة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، كما أنّ هناك فريق آخر من العلماء شككوا فيه.

لفظ الجلالة (الله):

لقد تكرر لفظ الجلالة (الله) في صحيح البخاري، أكثر من ٧٥٠ مرة، وهذا ما يؤكد كونه لفظًا محوريًا تدور حوله سائر الألفاظ العقدية والتشريعية، ولفظ الجلالة (الله) اسم تفرد به الله سبحانه وتعالى، لا يشاركه أحد من خلقه في هذه التسمية، قال الرازي: " فهذا اسم على الإنفراد ممنوع من الخلق أجمعين، قال تعالى: " هل تعلم له سميا "، قال بعض المفسرين : هل تعرف له شبيها ؟، وقال آخرون : لم يسمَّ بهذا الاسم غيره "[2].

واسم الله عز وجل (الله) يختلف عن أسمائه الأخرى ؛ ذلك أنّ أسماءه الأخرى هي نعوت وصفات له ، إلا أنّ الإشكال الذي يطرح نفسه في هذا الموضع هو: إذا كانت هذه الأسماء نعوتا وصفات ، فكيف جاز أن يقال لها: أسماء الله الحسنى ؟.

وقد علل الرازي ذلك بقوله: " وإنّما جاز أن يقال لها: أسماء ونعوت ؛ لأنّ النعت يقوم مقام الاسم، ويكون خلفًا منه، كما يقال: قام زيد العاقل، وقام عمرو اللبيب، فيكون العاقل واللبيب خلفا من متروك ، والعاقل في هذا الموضع اسم، إذا صار له الوصف ، فهذا الاسم مسؤول على الأسماء كلها ، أعني الله عزَّ وجلَّ، وإليه تنسب الأسماء كلها ، قال عزَّ وجلَّ: " ولله الأسماء الحسنى " (سورة الأعراف ، الآية : ١٨٠) فنسب إلى هذا الاسم الأسماء كلها، وتسمى الناس بسائر الأسماء، ولم يتسموا بهذا الاسم الواحد وهو الله ".

كما يختلف لفظ الجلالة (الله) عن الأسماء الأخرى من حيث الاشتقاق، فلفظ " الله " ليس مشتقًا من صفة ، في حين أنّ الأسماء مشتقة من صفات ، فالقادر من القدرة ، والعالم

(١) الزينة في الكلمات الاسلامية العربية ، ١/ ١١٢
(٢) لسان العرب ، ٧/ ١٠٤٥

من العلم ، والرحمن من الرحمة، والله هو الاسم الأعظم ، وهو أعرف المعارف ، لا يحتاج إلى قرينة ، أو معونة. يقول صاحب اللسان: " قال الليث: بلغنا أنّ اسم الله الاعظم هو الله لا إله إلا هو وحده»[١] ، إلاّ أنّ بعض العلماء يرى أنّ اسم الله الأعظم هو: الله أو الرحمن، ودليلهم على ذلك قوله عز وجل: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (سورة الاسراء ، الآية : ١٠٩)، وهو رأي الزجاجي [٢].

الله من حيث اللفظ والصيغة:

اختلف في أصل لفظ (الله) ، فقيل : سرياني ، أو عبراني والصحيح أنّه عربي، كما اختلف في الحكم عليها ، أهو موضوع أو مشتق ، إذ روي عن الخليل بن أحمد الفراهيدي روايتان ، كما روي عن سيبويه أنّه اسم مشتق من (لاه) يليه ليها تستّر.

وقد رجح الزجاج أن تكون اللفظة غير مشتقة ، إذ يقول: " أما اللفظ فعلى قولين أحدهما: أنّ أصله (إلاه) فعال ، و ثانيهما أصله (لاه) أفعلَ.

يقول ابن فارس: " (لاه) اللام والألف والهاء ، لاه اسم الله تعالى ، ثم أدخلت الألف واللام للتعظيم " ، وجاء في اللسان : " قال أبو الهيثم : فالله أصله إلاه، قال وأصل إله : (ولاه) ، فقلبت الواو همزة ، كما قالوا : للوشاح إشاح و للوجاح إجاح» [٣].

الله من حيث المعنى:

قال الزّجاج : " ومعنى قولنا إله ، إنّما هو الذي يستحق العبادة، وهو تعالى المستحق لها دون من سواه "، أمّا إذا كان أصله (ولاه) فمعناه: أنّ الخلق يلهون إليه في حوائجهم ، ويضرعون إليه فيما يصيبهم ، ويترعون إليه في كل ما ينوبهم كما يوله كل طفل إلى أمه "[٤].

ويرى صاحب المخصص: أنّ الإلاهة، والألوهة والألوهية معناها: العبادة ، وقرأ ابن عباس : " و يذرك وإلاهتك " ، أي عبادتك ، إلّا أنّ ابن منظور يرى أنّ هذه القراءة عن

(١) انظر اشتقاق اسماء الله ، ٢٥
(٢) المصدر نفسه.
(٣) معجم مقاييس اللغة ، ٥/ ٢٢٧
(٤) تفسير اسماء الله الحسنى ، ٢٥

ثعلب وكأنها هي المختارة ، قال : لأنّ فرعون كان يُعبد ولا يَعبد فعلى هذا ذو إلاهة ولا ذو آلهة ، والقراءة الأولى أكثر ، وهي : " وآلهتك " ، والقراء عليها ، قال ابن بري ، يقوي ما ذهب إليه ابن عباس في قراءته : " ويذرك و إلاهتك " ، قول فرعون : " أنا ربكم الأعلى ، وقوله : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ (سورة القصص ، الآية : ٣٨) لهذا قال سبحانه: ﴿ فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴾ (سورة النازعات ، الآية : ٢٥) والذي أشار إليه الجوهري بقوله عن ابن عباس : " إنّ فرعون كان يُعبد ".

قال النبي ﷺ: " بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدا رسول الله، و إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج وصوم رمضان "[١] .

فهل كل معبود إله ؟ يرى الزجاجي أنّه لا يجوز ذلك، إذ يقول: " فإذا قال قائل: فإذا كان معنى إله معنى معبود ، أفيجوز على هذا أن يسمى كل معبود إلهًا، كما يسمى معبودًا؟، قيل : ذلك على الحقيقة غير جائز ؛ لأنّ معنى الإله في الحقيقة هو ذو الأولوهية، أي المستحق للألوهية والعبادة.

والمعبود إنّما هو اسم المفعول من عبد فهو معبود، ألا ترى أنّ أحدًا من العرب لم يقل إلهنا الله فهو مألوه ، كما قالوا : عبدناه فهو معبود وإنّما قيل : تألهنا أي تعبدنا.

ويستشف من كثرة ورود لفظ الجلالة (الله) في جل الأحاديث – إذ لا يكاد يخلو منها حديث – من اسم للموجود الحق الجامع لصفات الألوهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي ؛ لذلك قيل: أنّ لفظ الجلالة (الله) هو أكبر الأسماء وأجمعها للمعاني، فهو أعرف المعارف، لا يحتاج إلى قرينة أو معونة، فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، فلما كان كذلك كان المستعيذ به جديرا بأن يعاد، ويحفظ، ويمنع من الشيطان الرجيم[٢].

(١) انظر الايمان ، ١/ ٢٢
(٢) انظر الاسماء والصفات ، ١/ ٤٧

اللهمَّ:

من الألفاظ الإسلامية المميزة التي تحتاج إلى بيان معناها وكشف أسرارها، وقد ورد لفظ (اللهمَّ) ما يعادل ١٢٠ مرة في صحيح البخاري ، منها المواضع الآتية [١]:

– قال (صلى الله عليه وسلم) في جوابه عن رجل سأله: الله أرسلك إلى الناس كلهم؟، قال : " اللهمَّ نعم " ، وقد كررها أربع مرات جوابا عن كل سؤال سأله إليه.

– وقال : " اللهمَّ علمه الكتاب "، دعائه لابن عباس.

– وقال : " اللهمَّ فقهه في الدين ".

وغيرها من المواضع التي ورد فيها لفظ (اللهم)، وكلها في مواضع دعاء [٢].

اللهم من حيث اللفظ: قال السيوطي في لفظ (اللهمَّ): " وأصله لفظ الجلالة (الله)، زيدت فيه الميم المشددة عوضا من حروف النداء ، ومن ثم لا يجمع بينهما إلا في الضرورة، كقوله:

إني إذا ما حدث ألما اقول : يا اللهمَّ يا أهما

قال الازهري: أمّا اعراب اللهمَّ فضم الهاء وفتح الميم لا اختلاف فيه بين النحويين في اللفظ، فأمّا العلة والتفسير فقد اختلف فيه النحويون، إذ يرى البصريون أنّ أصل اللهمَّ : يا أله ،ومن ذلك لا يجوز الجمع بين ياء النداء والميم (باللهمَّ) إلّا للضرورة مثلما هو الحال في الشاهد الشعري أعلاه ، ويجوز الكوفيون الجمع بينهما ؛ لأنّ الميم ليست عوضًا عن ياء النداء، وإنّما هي جزء من كلمة (أَمَّ) بمعنى قصد ، قال الفراء: (اللهمَّ) كلمة تنصبها العرب ونرى أنّها كانت كلمة ضمَّ إليها : أمّ، تريد : يا أله أمتنا بخير ،فكثرت في الكلام فاختلطت ، فالرفعة التي في الهاء من همزة أم، لما تركت انتقلت إلى ما قبلها.

في حين ذهب الخليل وسيبويه وجميع النحويين إلى أنّ اللهم بمعنى (يا الله)، وإنّ الميم المشددة عوض من ياء النداء لأنّهم لم يجدوا يا مع هذه الميم في كلمة واحدة ، ووجدوا اسم

(١) انظر العلم ، ١/ ٤٠

(٢) لسان العرب ، ٧/ ١٠٤٨

الله مستعملًا بيا، إذ لم يذكروا الميم في آخر الكلمة ، فعلموا أنّ الميم في آخر الكلمة عوض عن يا في اولها [1].

الخاتمة

أهم النتائج:

١ – الله – سبحانه وتعالى– لا يشبهه شيء، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. (سورة الشورى ، الآية : ١١) ، واسمه كمسماه – تعالى مسماه وتقدست أسماؤه – علم ليس كالأعلام.

٢ – اختصاص اسم الله – عز وجل – بالخواص النحوية المذكورة سببه شهرة اسمه تعالى وعنايتهم به، ما أدى إلى كثرة استعمالهم إياه في كلامهم، وهم فيما يهمهم ويعتنون به يلحقونه أحكاما لا تكون لغيره .

٣ – إنّ الأصل في لام لفظ الجلالة (الله) التفخيم وليس الترقيق ، وإنّ ترقيق اللام جيء به اضطرارا لوجود الكسر السابق .

٤ – إنّ صعوبة انتقال اللسان من حالة ارتفاع مقدمه في أثناء نطق الكسرة إلى ارتفاع مؤخره للنطق باللام المفخمة هو الذي فرض ترقيق اللام عند الكسر.

٥ – اختلف النحويون والصرفيون في الاصل الاشتقاقي للاسم ، فقد ذهب البصريون الى أنّه مشتق من (السمو) وهو العلو، وذهب الكوفيون الى أنّه مشتق من (الوَسْم) وهو العلامة.

٦ – أجمع النحويون على جر لفظ الجلالة (الله) بلام الملك في قوله تعالى (الحمد لله) في حين جره الصوفيون بالباء، فهم يقولون (الحمد بالله)، وسمي الذين جروه باللام اللاميين وهم العلماء والعامة.

(١) انظر الانصاف ، ١١/ ٣٤١

المصادر والمراجع

١- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر ، (شهاب الدين احمد بن محمد البناء ت ٧٢١هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ط٣ ، ٢٠٠٦م.

٢- اسرار العربية، أبو البركات الانباري (عبد الرحمن بن محمد ت ٥٧٧هـ) ، تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق ط١ ، ١٩٥٧م.

٣- الاسماء والصفات ، البيهقي (احمد بن الحسين ت ٤٥٨هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

٤- اشتقاق أسماء الله ، الزجَّاجي (عبد الرحمن بن إسحاق ت ٣٤٠هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٢، ١٩٨٦ م.

٥- الأصوات اللغوية، (سمير استيتيه) ، دار وائل للنشر، عمان ط١ ، ٢٠٠٣م.

٦- الاغفال، (أبي علي الفارسي ت٣٧٧هـ) ، المجمع الثقافي ، دبي، ٢٠٠٣م.

٧- الانصاف في مسائل الخلاف، ابن الانباري (ابو البركات عبد الرحمن الانباري ت٥٧٧هـ) ، تحقيق جودة مبارك ، مكتبة الخانجي، مصر ط١، (د.ت).

٨- أوضح المسالك الى الفية ابن مالك ، (ابن هشام الانصاري ت ٧٦١هـ) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م.

٩- الايمان، (ابن تيمية ت ٧٢٨هـ) ، ضبط ومراجعة صدقي جميل العطار، دار الفكر بيروت، ٢٠٠٣م.

١٠- البخاري مع فتح الباري، (ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ) ، مكتبة الصفا، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١١- البيان والتعريف بما في علوم القرآن من احكام التصريف، (محمد بن الحبيب الشنقيطي) ، مكتبة امين محمد احمد سالم ، المدينة المنورة ط١، ١٩٩٢م.

١٢- تفسير أسماء الله الحسنى، الزجَّاج (أبو إسحاق ابراهيم ت٣١١ هـ) ، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، مطبعة محمد هاشم الكبي، العراق (د.ت).

١٣- الجمل في النحو، (الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت ط٥، ١٩٩٥م.

١٤- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب ،(علاء الدين بن علي الأربلي ت ٧٤١هـ)، تحقيق إميل يعقوب ، دار النفائس، بيروت ط١، ١٩٩١م.

١٥- حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك، (محمد بن علي الصبان ت١٢٠٦ هـ) ، دار احياء الكتب العربية، بيروت ط١ ، ١٩٩٧ م.

١٦- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، (مكي بن أبي طالب ت ٤٣٧هـ) ، تحقيق احمد حسن فرحات ، دار عمار، عمان ط٤، ٢٠٠١م.

١٧- الزينة في الكلمات الاسلامية العربية، الرازي (أبو حاتم احمد بن حمدان ت٣٢٢هـ)، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، مركز الدراسات والبحوث، اليمن، ١٩٦٤ م.

١٨- شرح المفصل لابن يعيش، (يعيش بن علي بن يعيش الحلبي ت ٦٤٣هـ) ، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠١ م.

١٩- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري (اسماعيل بن حماد ت ٣٩٣ هـ) ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ط٣، ١٩٨٤م.

٢٠- العلم، (ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ) ، حققه عامر حسن صبري التميمي، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ط١، ٢٠١٥ م.

٢١- فقه الاسماء الحسنى، (عبد الرزاق البدر) دار التوحيد، الرياض ط١،٢٠٠٩م

٢٢- الكتاب، سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان ت ١٨٠ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الكتب العلمية، بيروت ط٣ ، ١٩٨٨ م.

٢٣- لسان العرب، ابن منظور (محمد بن مكرم ت ٧١١هـ) ، دار صادر ،بيروت، (د.ت).

٢٤- معاني القرآن واعرابه، الزَّجاج (ابراهيم بن السري ت٣١١ هـ) ، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت ط١، ١٩٨٨ م.

٢٥- معجم مقاييس اللغة، (ابن فارس ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٦- مفاهيم القرآن، العلامة جعفر السبحاني (جعفر بن محمد) ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ط١، ٢٠١٠م.

٢٧- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ،(ابراهيم بن موسى الشاطبي ت ٧٩٠هـ)، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، معهد البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، جامعة ام القرى ط١ ، ٢٠٠٧م.